

## تفسير البحر المحيط

@ 123 @ .

الطرد الإبعاد بإهانة والطريد المطرود ، وبنو مطرود وبنو طراد فخذان من إباد . .  
{ إِزَّامًا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ } إنما يستجيب للإيمان الذين يسمعون  
سماع قبول وإصغاء كما قال : { إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ  
أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ } ويستجيب بمعنى يجيب . وفرق الرماني بين أجب  
واستجاب بأن استجاب فيه قبول لما دعي إليه . قال : { فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ }  
{ فَاسْتَجَابْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ } وليس كذلك أجب لأنه قد يجيب  
بالمخالفة . .

قال الزمخشري يعني أن الذين تحرص على أن يصدقك بمنزلة الموتى الذين لا يسمعون ، وإنما  
يستجيب من يسمع كقوله { إِزَّامًا لَا تَسْمَعُ الْمَوْتَى } . .  
وقال ابن عطية هذا من النمط المتقدم في التسلية ، أي لا تحفل بمن أعرض وإنما يستجيب  
لداعي الإيمان الذين يفهمون الآيات ويتلقون البراهين بالقبول فعبر عن ذلك كله بيسمعون .  
إذ هو طريق العلم بالنبوة والآيات المعجزة . وهذه لفظة تستعملها الصوفية إذا بلغت  
الموعظة من أحد مبلغاً شافياً قالوا استمع { وَالْمَوْتَى يَدْعُهُمْ اللَّهُ }  
الظاهر أن هذه جملة مستقلة من مبتدأ وخبر ، والظاهر أن الموت هنا والبعث حقيقة وذلك  
إخبار من الله تعالى أن الموتى على العموم من مستجيب وغير مستجيب ، يبعثهم الله فيجازيهم  
على أعمالهم وجاء لفظ الموتى عاماً لإشعار ما قبله بالعموم في قوله { إِزَّامًا  
يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ } إذ الحصر يشعر بالقسم الآخر وهو أن من لا يسمع سماع  
قبول ، لا يستجيب للإيمان وهم الكفار . وصار في الإخبار عن الجميع بالبعث والرجوع إلى  
جزاء الله تعالى ، تهديد ووعيد شديد لمن لم يستجب وتطافت أقوال المفسرين أن قوله  
والموتى يراد به الكفار . سموا بالموتى كما سموا بالصمِّ والبكم والعمي وتشبيه الكافر  
بالميت من حيث إن الميت جسده خالٍ عن الروح ، فيظهر منه النتن والصدید والقبح وأنواع  
العفونات . وأصلح أحواله دفنه تحت التراب . والكافر روحه خالية عن العقل فيظهر منه  
جهله بالله تعالى ومخالفاته لأمره وعدم قبوله لمعجزات الرسل ، وإذا كانت روحه خالية من  
العقل كان مجنوناً فأحسن أحواله أن يقيّد ويحبس . فالعقل بالنسبة إلى الروح كالروح  
بالنسبة إلى الجسد . وإذا كان المراد بالموتى هنا الكفار فليل البعث يراد به حقيقته من  
الحشر يوم القيامة والرجوع هو رجوعهم إلى سطوته وعقابه ، قاله مجاهد وقتادة . .

وعلى هذا تكون هذه الجملة متضمنة الوعيد للكفار . وقيل الموت والبعث حقيقة والجملة مثل لقدرته على إلجائهم إلى الاستجابة بأنه هو الذي يبعث الموتى من القبور يوم القيامة { ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ } للجزاء ، فكان قادراً على هؤلاء الموتى بالكفر أن يحييهم بالإيمان وأنت لا تقدر على ذلك قاله الزمخشري . وقيل الموت والبعث مجازان استعير الموت للكفر والبعث للإيمان . .

ف قيل الجملة من قوله والموتى يبعثهم ا□ مبتدأ وخبر أي والموتى بالكفر يحييهم ا□ بالإيمان . .

وقيل ليس جملة بل الموتى معطوف على الذين يسمعون ، ويبعثهم ا□ جملة حالية . والمعنى إنما يستجيب الذين يسمعون سماع قبول ، فيؤمنون بأول وهلة والكفار حتى يرشدهم ا□ تعالى ويوفقهم للإيمان ، فلا تتأسف أنت ولا تستعجل ما لم يقدر . .  
وقرء ثم إليه يرجعون بفتح الياء من رجع اللازم .